مستقبل المسرح العربي

اقوم في هذه الأيام بتأليف كتاب عن المسرح عنوانه : « المسرح في الوطن العربي . »

وبين فصول هذا الكتاب فصل موضوعه : مستقبل المسرح العربي ، احاول فيه ان اخترق الحجب الثقافية والاجتماعية والسياسية التي تفصلنا الآن من فترة زمنية ما ، ولنحددها بالربع او النصف القرن القادمين .

ماذا يكون حال المسرح العربي اذ ذاك ؟

سأفترض الأحسن دائماً ، والزم جانب التفاؤل المعقول . وسأقول : انه بفضل ازدياد التعارف والتمازج وكثرة الاسفار بين اجزاء الوطن العربي ، ستصبح الوحدة العربية حقيقة قائمة اما بالفعل ، أو بالامكانية الشديدة التأثير .

وسأضيف إلى الحقيقة السابقة امتزاجاً يكون قد تم بين اجزاء البلد العربي الواحد ، بحيث يكون قد امكن خلاله تغطية هذا البلد مسرحياً ، لافي عواصمه او مدنه الكبرى وحسب بل وفي ريفه وقراه واماكنه القاصية أيضاً .

وهذا التمازج أو التغطية — في حالي البلد الواحد والوطن العربي الكبير — سيتم عن عدة طرق .

هناك أولاً الطرق التقليدية ، بمقياس عصرنا الحالي ، وهي : رحلات الفرق المسرحية في داخل البلد العربي الواحد ، وخارجه . وهناك ثانياً انتقال المعرفة والثقافة والتجربة المسرحية عبر قناتي التعبير الشعبيتين المعروفتين ، اي الاذاعتين : الصوتية والمرئية .

عن طريق هذه الوسائل التقليدية سيتم حل بعض المشاكل التي تعترضنا حالياً : مثل لغة الحوار في المسرحية ، وكيف نجعلها مفهومة على الصعيدين القومي والمحلي ، مخترقين حواجز اللهجات الكثيرة المنتشرة في كل بلد عربي ، وفي الوطن العربي على اتساعه .

وسنكون قد نجحنا بفضل هذا الانتشار في وضع اساس أمتن لمسرح عربي موضوعاً وصيغة معاً ، بعد أن نجحنا حتى الآن — وإلى حد متواضع — في تثبيت المسرح الغربي الذي استوردناه من اوروبا في القرن الماضي ، والبسناه ثوباً عربياً . ثبتناه في المدن الكبرى فقط ، وبين قلة من الخاصة المثقفة ولم ننجح ابداً في نقله إلى الاقاليم ، ليس لقصور في وسائلنا ونقص في امانينا وحسب ، بل لسبب أهم من هذين بكثير وهو أن الشعب العربي يعرف — حقيقة — مايريد ومالايريد ، فهو يستخدم اجهزة الرفض في جسمه لطرد مالايمثل وجدانه وعواطفه . وهذا هو السر في ان المسرح العربي ، لايزال ، بعد أكثر من قرن من الزمان مسرحاً غير عربي . بل هو مسرح مستعرب وحسب . . . !

اقول هذا عن المسرح الذي ينتجه المثقفون . اما نتاج المسرح الشعبي فله قصة أخرى .

اذا تم في المستقبل القريب او البعيد — في ربع قرن أو نصف قرن — هذا الذي اشرنا إليه آنفاً ، فان مسرحنا العربي يكون قد أفلح